المسيرة التَّاريخيَّة للحركة الفكريَّة الأصوليَّة بحاضرة تلمسان في القرنين الثَّامن والتَّاسع الهجريَّين.

The historical march of the fundamentalist intellectual movement in the capital of Tlemcen in the eighth and ninth centuries AH.

حسناوي عيسى،hasnaoui aissa جامعة أبو بكر بلقايد تلمسانhasaissa9@gmail.com

تاريخ الإرسال 12 /2021/10 تاريخ القبول: 01 /2021/11 تاريخ النشر : 30 /2021/12

ملخص:

لقد جاء هذا العمل لتسليط الضوء على نوع من البحوث التي تتقاطع فيها العلوم والتخصصات من علم التاريخ و علم أصول الفقه؛ فهو يبحث في تاريخ علم أصول الفقه في حاضرة تلمسان في زمن إشعاعها الفكر ي والعلمي في القطر الإسلامي في القرنين الثامن والتاسع الهجريين؛ وهذا من جهة مكانة علم الأصول في هذه الحاضرة، ومنهج علمائه في تدريسه، ومن جهة نوع المدونات التي وضعت فيه، والكتب المدرسية التي اعتمدت في تعليمه.

وقد توصل إلى عدة نتائج منها: أن هذا العلم قد عرف مكانة رفيعة في حاضرة تلمسان في القرنين المبحوثين، ومنها: أن هذا العلم كان يدرس في هذه الحاضرة وفق مناهج معلومة وسبل محددة، ومنها: أن قرائح أصوليي المدينة قد جادت بمصنفات قيمة على غرار (مفتاح الوصول لتلمساني) و(غاية المرام لابن زكري).

كلمات مفتاحية: التاريخ.، الفكر الأصولي، تلمسان.، القرن الثامن والتاسع.

Abstract:

This work came to shed light on a type of research in which sciences and disciplines intersect, from the science of history and the science of usul al-fiqh; It researches the history of the science of usul al-fiqh in the metropolis of Tlemcen at the time of its intellectual and scientific radiance in the Islamic country in the eighth and ninth centuries AH; This is in terms of the status of the science of assets in this present time, and the method of its scholars in teaching it, and in terms of the type of blogs that were placed in it, and the textbooks that were adopted in its teaching.

He reached several results, including: This science has known a high position in the metropolis of Tlemcen in the two centuries investigated, including: This science was studied in this metropolis according to known curricula and specific ways, including: The

تصدر عن كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة محمد البشير الابراهيمي برج بوعريريج
الرقم الدولي المعياري ISSN:2602-702X الترقيم الدولي الالكتروني: 2773-2592
الايداع القانوني :ديسمبر 2017

Qur'anic studies of the city's fundamentalists have argued with valuable works along the lines of (The Access Key to Tlemceni) and Ghayat Al-Maram by Ibn Zakri.

Keywords: history, fundamentalist thought, Tlemcen, eighth and ninth centuries.

مقدمـــة:

الحمد لله والصَّلاة والسَّلام على رسُول الله أمّا بعد:

فإن مدينة تلمسان تُعتبر من معاقل العلوم وحواضره في الغرب الإسلامي، يشهد بذلك ما حملته كتب التّواريخ والتّراجم من أسماء علماء هذه المدينة، وما نوّهت به من نتاج فكرهم، و حواصل بحثهم وتنقيبهم من تواليف شرقت وغربت، ورحم الله الطاهر بن عشور إذ قال «...وفي الجزائر وتلمسان والمغرب الأقصى كان حال التعليم في القديم يشبه ما وصفنا، إلا أنه كان في تلمسان أرقى لما بينها وبين الأندلس من الاختلاط القديم في الحكومة على عهد بني زيان، فظهر فيها مثل ابن مرزوق وابنه وأبناء الشريف ... والعقباني »[1] و البشير الإبراهيمي إذ يقول « ولا توجد مدينة في المغارب الثلاثة ولدت من أئمة الدين والأدب والعلم بجميع أنواعه مثل ما ولدت تلمسان، لا تفوقها في هذا إلا أمصار الأندلس».[2]

ومن العلوم التي عرفت رواجا في هذه المدينة علم أصول الفقه الذي اعتبر من الفنون المركزيّة في هذه الحاضرة تدريساً ومذاكرةً واستعمالًا؛ وبعد سماع هذا النبأ يتسلل إلى فكر المهتم بهذا العلم تساؤل عن حال هذا العلم في هذه المدينة؟ وعن مناهج علمائها في تقرير مسائله ؟ وعن المدوّنات التي وضعت فيه؟ وعن أبرز الكتب المدرسية التي اعتمدت في تدريسه؟ ...وغير ذلك.

ولأهميّة هذه التّساؤلات وما يحمله الجواب عنها من إحياء ذكر هذا العلم بهذه المدينة الحبيبة، وبيان شيءٍ من مكارمها، أحببت أن أُسهم في الجواب عنها مقتصرا على القرنين الثّامن والتّاسع باعتبارهما زمن الإشعاع المعرفيّ فيها، وقد اعتمدت المنهجين: التوثيقي والتاريخي لجمع مكونات البحث، والمنهج التحليلي لتحليل المادة المجموعة.

والله أسأل التوفيق والسداد والهداية للرشد والصواب، إنه هو الهادي إلى سواء الصراط.

1- مكانة علم أصول الفقه بحاضرة تلمسان في هذه الحقبة ومنهج علماء المدينة في تدريسه.

1-1- مكانة علم أصول الفقه بحاضرة تلمسان في هذه الحقبة.

من المعلوم المقرر مدى محوريّة ومركزيّة علم أصول الفقه في المنظومة المعرفيّة الإسلاميّة؛ إذ هو المنظم للعلمية الاجتهادية بما يحويه من بيان لأصول الاستدلال، والطّرائق الصّحيحة للفهم والاستنباط، وما يشتمل عليه من بيان لشرائط المتأهّل لتفعيل العمليّة الاجتهاديّة.

وقد عرف أهل هذه المدينة لهذا العلم حقّه، وأنزلوه المنزلة الّتي تليق به؛ ولهذا شواهد وأدلّة أذكر منها:

-عناية السّلاطين والملوك بمدارسة علم أصول الفقه، واستبيان دقائق مسائله.

إنّ المتبادر للأذهان أنّ ملوك وسلاطين الأمّة الإسلاميّة في مختلف ربوعها إنّما كانت لهم عناية بعلوم معيّنة من علوم الشّريعة كالتّفسير والفقه وقراءة الحديث، لكنّ أمراء تلمسان من بني عبد الواد في القرن الثّامن على وجه الخصوص كان لهم شغف بشتّى العُلوم ومنها أصول الفقه؛ يشهد لذلك: ما نقله ابن مريم في بستانه عن سؤال السلطان الشريفَ التلمساني(ت:771ه) عن عبارة مشكلة في أصليّ ابن الحاجب و حرصه على استقدام من يعرفها من المناطق البعيدة، و بذله المال الجزيل له، وفي ذلك يقول«....وسأله السلطان يوما عن مسألة من ابن الحاجب الأصلي، فقال له: إنما يفهم هذه المسألة الطالب الفلاني-وكان من ذوي الحاجة- فطلبه السلطان، فقيل له: إنّه بسجلماسة، فوجه لعاملها أن يعطيه بغلة وكسوة ونفقة ويوجهه، فوصل في أسرع وقت، فبين المسألة بين يدي السلطان، فقيل له: ممن استفدتها؟ فقال : من سيدي أبي عبد الله الشّريف»[3].

وما نقله المقَّري(ت:758ه) من أحداث مناظرة ذات تعلُّق بباب الاجتهاد في علم الأصول جرت أحداثها في مجلس السّلطان أبي تاشفين عبد الرحمن بن أبي حمو(ت:737ه) بين أبي زيد بن الإمام (ت:743ه) وأبي موسى عمران بن موسى المشدّاليّ(ت:745ه) حول مرتبة ابن القاسم في سّلم المجتهدين، وهل هو مقيد النَّظر بأصول مالكٍ؟ وقد نقلها التنبكتي بطولها، وأنا أكتفي بصدر ما ورد فيها وهو قوله «... قال المقَّري، شهدت مجلس أبي تاشفين صاحب تلمسان ذكر فيه أبو زيد بن الإمام أنّ ابن القاسم مقلّد لمالك ونازعه أبو موسى عمران المذكور، وادّعى أنّه مطلق الاجتهاد، واحتج بمخالفته لمالك في كثير، ...فاحتجَّ أبو زيد بنصر الشرف التلمساني أنّه مثل مجتهد المذهب بابن القاسم في مذهب مالك والمزني في مذهب الشّافعي ومحمّد بن الحسن في مذهب أبي حنيفة....»[4] .

ومنه ما نقله المقري(ت:758ه) أيضا عن مناظرة ذات تعلّق بباب الحقيقة والمجاز في علم الأصول، وقعت أحداثها في مجلس السّلطان أبي تاشفين (ت:737ه) بين أبي زيد بن الإمام (ت:743ه) و أبي إسحاق السلوي(ت:؟؟؟)، وعرفت هذه المرة تدخل أبي عبد الله المقَّري(ت:758ه) وبيانه لوجهة نظره في المسألة؛ وقد نقل أحداث هذه المناظرة ابن الخطيب فقال«قال-المقري-: شهدت مجلسا آخر عند هذا السلطان، قرئ فيه على أبي زيد ابن الإمام حديث: (لقّنوا موتاكم لا إله إلا الله) ، من صحيح مسلم، فقال له الأستاذ أبو إسحاق

بن حكم السّلوي: هذا الملقّن محتضر حقيقة، ميّت مجازا، فما وجه ترك محتضريكم إلى موتاكم، والأصل الحقيقة؟ فأجابه أبو زيد بجواب لم يقنعه. وكنت قد قرأت على الأستاذ بعض (التنقيح) ، فقلت: زعم القرافي أن المشتقّ إنّما يكون حقيقة في الحال، مجازا في الاستقبال، مختلفا فيه في الماضي، إذا كان محكوما به.

وأمّا إذا كان متعلّق الحكم كما هنا، فهو حقيقة مطلقا إجماعا، وعلى هذا التقرير لا مجاز ولا سؤال. ولا يقال: إنه احتجّ على ذلك بما فيه نظر؛ لأنّا نقول: إنه نقل الإجماع، وهو أحد الأربعة التي لا يطالب عنها بالدليل.....»[5].

-إكرام السّلاطين لعلماء الأصول الو افدين على المدينة.

وهذه الخصلة فرع عن تعظيمهم لهذا العلم واشتغالهم به؛ وهو الموضّح في النّقطة السّابقة، وممّا يشهد له ما جاء في نيل الابتهاج من أن أحمد بن نصر البجائي(ق:8ه) دخل تلمسان تاجرا فأتى مجلس الأصول الذي كان يعقده أبو زيد ابن الإمام(ت:743ه)، فوجده يقرر قول ابن الحاجب في حد العلم، فلما أتم أبو زيد البحث أورد عليه أحمد بن نصر إشكالا عرف منه أبو زيد مكانة السّائل، فطلب منه التّعريف بنفسه، ثمّ قدّمه للسُّلطان أبي تاشفين(ت:737ه) فأكرمه برفع مغارم وظائف التّجارة، وبمائتي دينار عينا[6].

-الأسئلة الأصوليّة الّتي كانت ترد على علماء تلمسان من مختلف الأقطار.

ومن الشواهد الدّالة على المكانة الّتي بلغها علم الأصول في هذه الحاضرة ما حملته كتب النّوازل من مشكلات أصوليّة كان يُرَاسل بها علماء المدينة من أبناء القرنين الثّامن والتّاسع، ممّا يدلُّ على رفيع المنزلة الّتي بلغوها في العلم، ومدى اتّسامهم بالتّحقيق فيه.

ومن الأمثلة على ذلك في كتاب المعيار المعرب للونشريسي ما روسل به الشّريف التِّلمسانيّ(ت:771ه) و محمد بن يوسف السنوسيّ(ت:890ه) حول ضوابط التَّعامل مع أقوال المجتهد إذا تعدَّدت في المسألة الواحدة مع إمكان رجوعه عن بعضها[7].

وما سئل عنه كلٌّ من إبراهيم بن سعيد العقبانيّ(ت:880ه) ومحمد بن يوسف السنوسيّ (ت:890ه)[8] ،وابن زكريّ(ت:899ه)[9] و أبي العبَّاس الونشريسيّ (ت:914ه)[10] عن حكم العمل بالقول الضَّعيف أو المرجوح في المذهب.[11]

-المنزلة العلمية التي بلغها علماء المدينة في علم الأصول.

وقد بلغ جمع من علماء تلمسان من أبناء القرن الثَّامن والتَّاسع أعلى المراتب في تحقيق علم الأصول والتَّمكُّن فيه، تشهد لذلك نصوص من ترجم لهم، ومنها:

قول ابن مريم مبينا مكانة الآبلي "الإمام العلامة المجمع على إمامته، أعلم خلق الله في العلوم المعقوليّة."[12]

و قول ابن خلدون في معرض بيان مكانة الشَّريف التِّلمسانيّ « الإمام العالم القدوة، فارس المعقول والمنقول، وصاحب الفروع والأصول.»[13]

وقال ابن مخلوفٍ في معرض تجلية مكانة أبي عبد الله المقَّريّ في العلوم« الفقيه الأصوليُّ، الحجَّة النّظار».[14]

وقد جاء ابن أبي مريم بما لم يسبق إليه في بيانه لمكانة ابن مرزوقٍ الحفيد في العلم إذ قال «وأما الأصول فالعَضُدُ ينقطع عند مناظرته ساعده، والسَّيف يكِل عند بحثه حده حتى يترك ما عنده ويساعده، والبُرهان لا يهتدي معه لحجة، والمقتَرح لا يقترح عنده بحجة».[15]

1-2- منهج علماء تلمسان في تدريس علم أصول الفقه في هذه الحقبة.

من المعلوم أن تلمسان تميّزت كسائر الحواضر العلميّة بعُرف علميٍّ شكّلته مناهج علمائها في تدريس العلوم بما يوافق طبائع الطّلبة، ونوع العلوم المقررة، والحال الفكريّة والاجتماعيّة السّائدة في ذلك الزمن، وقد كان لعلم أصول الفقه نصيب من ذلك؛ فقد خُص في هذه المدينة بزمن معين يدرَّس فيه وفق مسلك محدد في تقرير مسائله، وقد نُقلت في كتب التّراجم والتّواريخ نُتف من ذلك في أعطاف ما حوته؛ يمكن من خلالها إعادة تصوير لمعالم هذا المنهج، وفيما يأتي بيان لذلك:

زمن تدريس أصول الفقه في الحاضرة.

لقد سلك علماء المدينة منهجًا خاصًا في تقسيم العلوم المدروسة على أجزاء السّنة، فكان الشِّتاء مخصّصًا للفقه والحديث والتّفسير، والصّيف للعلوم اللُّغوية والعقليّة كالأصول والحساب والهندسة ...وغيرها، وممّن اعتمد هذا السبيل في التّدريس عبد الله الشّريف التلمساني(ت:792ه)[16] في المسجد الأعظم، وأحمد ابن زاغو التّلمساني(ت:845ه) في المدرسة اليعقوبيّة[17] .

ولتمام الفائدة أحبُّ أن أنبه على أنّ هذا المنهج في تقسيم العلوم على فصول السّنة كان مُعتمَدًا كذلك عند علماء القيروان؛ يشهد لذلك ما نقله ابن مريم عن ابن عرفة الورغمي(ت:803ه) في منهجه في التدريس فيقول«...وقال تلميذه البرزلي: أدركناه يقرئ في الصيف الأصلين والمنطق والفرائض والحساب والقراءات في آخر عمره....»[18] .

-طريقة ضبط الوقت بين الطلبة.

وطريقة ضبط الوقت وتقسيمه بين الطّلبة ليس خاصا في الحقيقة بعلم أصول الفقه، وإنّما يشمل جميع العلوم المدروسة، وقد اعتمد طلبة العلم في تلمسان آلة الرمليّة لضبط وقت الدَّرس؛ يشهد لذلك ما نقله التنبكتي في وصفه لدرس أحد علماء تلمسان وهو عبد الله الشّريف التملساني(ت:792ه) من ذكر لهذه الآلة واستعمالها في المجالس، وفي ذلك يقول«... ثم نقل للجامع الأعظم فأقرأ أحكام عبد الحق، وفرعي ابن الحاجب، ويحضره طلبة فاس....وكان الطلبة يقسِّمون الوقت بالرمليّة»[19] .

-أماكن عقد الدروس.

إنّ مواطن العلم الّتي كان يجتمع فيها العلماء بطلبتهم في جميع حواضر العلم في العالم الإسلاميّ إنّما كانت المساجد والمدارس، ولم تخرج مدينة تلمسان عن هذا التّرتيب في العامّ الغالب فقد أقرأ علم أصول الفقه عبد الله الشّريف التلمساني(ت:792ه) في المسجد الأعظم[20]، وأبو عثمان عقباني(ت:811ه) في مدرسته[21]، و ابن مرزوق الحفيد(ت:842ه) في مدرسة منشر الجلد ومسجد العباد[22]، وأحمد ابن زاغو التّلمساني(ت:845ه) في المدرسة اليعقوبيّة[23] .

وأختم بالتنبيه على أن بعض علماء المدينة ممن كان يأكل من كسب يده بالعمل في أرض له يقوم عليها، كان الطّلبة يقصدونة في مزرعته لتكون مكان الدّرس في أي علم كان، ومن هؤلاء علي ابن يحيى التّلمساني(ت:972ه) وفي حال درسه يقول ابن مريم«...وكان رضي الله عنه إماما بمسجد أجادير يدرِّس فيه العلم إلى الضّحى الأعلى، ويخرج ويذهب لعرصته بوادي الصّفصيف يخدمها بالفأس، ويذهب معه الطّلبة يدرِّس العلم في ذهابه ورجوعه في الطريق، فإذا وصل لعرصته ينزل عن دابته ...ويأخذ الفأس يخدم به في العرصة والقارئ يقرأ وهو يفسر إلى الزوال...»[24] .

-حال المعلمين في التورُّع من أن تصلهم من جهة طلبتهم أي منفعة.

وحال بعض علماء المدينة في هذا الأمر عجيب يشهد على صلاح الباطن، وحسن القصد، وكمال إرادة ما عند الله، ومن أمثلة ذلك ما نقله ابن مريم عن الإمام إبراهيم بن يخلف التنسي التلمساني (ت:ق8ه) أنه زار مصر وانتفع به بعض طلبة العلم بها، وفي يوم زار أحد القرى وأصابه عطش شديد، فأدركه أحد طلبته بماء مشوب بسكر، فأبى قبوله مع اشتداد الحاجة، وقيام الاضطرار، وعلّل ذلك بقوله«خفت أن يكون فعله جزاء لقراءته علي، فتركته لذلك خوفا من أن ينقص من أجري»[25].

تصدر عن كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة محمد البشير الابراهيمي برج بوعريريج
الرقم الدولي المعياري ISSN:2602-702X الترقيم الدولي الالكتروني: 2592-2773
الايداع القانوني :ديسمبر 2017

ومن الشّواهد أيضا ما كان يصنعه علي بن يحيى التلمساني(ت:972ه) السّابق الذكر في النقطة السّابقة ، فقد كان إذا بلغ أرضه ربط دابّته وأنزل بردعتها وحده لا يقدر أحد الطّلبة أن يفعل ذلك عنه مع إرادتهم لذلك لما يعرفونه عنه من كراهيّة ذلك.[26]

ولعل أغرب من هذا أن بعض علماء تلمسان كان يدفع من ماله نفقةً راتبةً لمن يحتاج من طلبته، وقصّة الإمام ابن زاغو(ت:845ه) مع تلميذه ابن زكري(ت:899ه) وأمّه مشهورة في هذا الباب[27].

-طريقة تعامل المشايخ مع الطلبة.

وهذه الخصلة مشتركة بين طلبة علم أصول الفقه وغيره من علوم الشّريعة؛ والحقيقة أنّ تعامل علماء المدينة مع طلبة العلم قد بلغ من الرقيّ إلى درجة يُفتخر بها على مرّ الأزمان والأعصار، ولو اتُخذت دستورا في عصرنا الحالي على وجه الخصوص لعادت للعلم حياته، ولكثر طلبته، ولرُجيت ثمرته، وأكتفي في التَّدليل على ما سبق بمثال واحد -وإن كانت الشّواهد متوافرة- لإمام من أئمة القرن الثّامن وهو أبو عبد الله الشّريف التّلمساني (ت:771ه) الّذي نقل عنه في تعامله مع الطّلبة أنّهم كانوا« في أيامه أعزّ النّاس وأكثرهم عددا وأوسعهم رزقا وانتفاعا، فكثر العلم في عهده وانتشر، وأقبل النّاس عليه واستعانوا بحسن إلقائه وحلاوة فيضه وسهولته، فيرق به الطّالب في أسرع وقت مع بشاشة وشفقة لا يؤثر عن الطلبة غيرهم، ولا يقرب أحدا دونهم، يدعوهم للحق، ويحملهم على الصّدق، ويبث لهم الحقائق، وينزههم عن الخلائق، يرتب كل واحد في منزلته، ويحمل كلامهم على أحسن الوجوه، وربما قرّره وأبرزه أحسن صورة تنشيطا له، ويترك كل أحد وما يميل إليه من العلوم، ويرى الكلَّ من أبواب السّعادة ويقول من رزق في باب فليلازمه»[28].

-منهج تلقي العلم والبحث فيه.

لقد امتاز طلبة العلم في تلمسان في منهج تلقّيهم للعلم بتغليب البحث والنّظر على الحفظ والاستظهار في جميع العلوم الّتي طلبوها ومنها أصول الفقه[29] ؛ ولعلّ من أسباب ذلك تشجيع مجموعة من علماء المدينة على هذا التوجّه ومنهم أبو زيد ابن الإمام (ت:743ه) الّذي كان يفسح المجال للسؤال والأخذ والردّ في مجلسه الّذي كان يشرح فيه أصليّ ابن الحاجب[30].

والآبلي(ت:757ه) الذي كان يدفع طلبته للتّباحث والمناظرة في مجلسه[31]، وربّما دخل هو في البحث مع أحد الطلبة؛ ومن ذلك ما جاء في نيل الابتهاج أنّ طالبا قال له إنّ مفهوم اللّقب صحيح؟ فقال الآبلي له: قل زيد موجود، فقال: زيد موجود. فقال الآبلي: أمّا أنا فلا أقول شيئا، فعرف الطّالب ما وقع فيه فخجل.

تصدر عن كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة محمد البشير الابراهيمي برج بوعريريج
الرقم الدولي المعياري ISSN:2602-702X الترقيم الدولي الالكتروني: 2592-2773
الايداع القانوني :ديسمبر 2017

وبعده تلميذه الشّريف التلمساني(ت:771ه) الّذي كان يأمر طلبته أن يكتبوا ما توصّل إليه تباحثهم لتهيئتهم للتّأليف والكتابة[32].

وقد ظهر من علماء المدينة من جمع بين منهج البحث والنّظر على طريقة التّلمسانيين، ومنهج الحفظ والاستظهار على طريقة علماء فاس، وأقصد عبد الله الشّريف التّلمساني(ت:792ه) الّذي قال التُّنبكتي في بيان منهجه«...ويحضره طلبة فاس وشأنهم حفظ المسائل والنّقل على عادتهم خلاف عادة التّلمسانيين فيحضره جميعهم فيوفي لكل طريقه»[33].

ومما ينبه عليه في هذا الباب وبه أختم أنّ عبد الله الشّريف المذكور قبل اتّسم منهجه في تلقين علم أصول الفقه بالتّيسير وحسن التّقريب؛ حتى صرّح أبو الحسن المغربي بأنّه انتفع به في هذا العلم أكثر من انتفاعه بوالده أبي عبد الله الشّريف التّلمساني(ت:771ه).[34]

2-الكتب المصنّفة في علم الأصول والمعتمدة في تدريسه في تلمسان والتّعريف بمصنفيها.

2-1-الكتب المصنفة في علم الأصول والتعريف بمصنفيها.

لقد جادت قرائح علماء الأصول التّلمسانيين في القرنين المبحوثين بمجموعة من كرائم المصنّفات الّتي جسّدوا فيها نظرتهم للعلم، وسجّلوا فيها خلاصة فكرهم، وثمرات بحثهم في مسائله، وقد وقفت بعد البحث على ما يأتي منها:

(مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول) .

مؤلّفه هو محمدُ بن أحمد بن علي، أبُو عبد الله الشّريفُ الحَسَنِيُّ التّلِمسَانيّ، المعروف بالشّريف التّلِمسَانيّ، مولده سنة (710 ه)، أخذ عن ابني الإمام وبهما تفقه، والآبلي وانتفع به، وعنه القاضي التميمي و الشّاطبيّ، وابن خلدون، وابن مرزوق الحفيد، وخلق، من تصانيفه (شرح جمل الخونجي)، وكتاب (في القضاء والقدر) ، قال عنه ابن خلدون« الإمام العالم القدوة، فارس المعقول والمنقول، وصاحب الفروع والأصول»[35]، توفي في ذي الحجّة سنة(771ه).[36]

(شرح مختصر ابن الحاجب).[37]

مؤلّفه هو سعيدُ بن محمَّد العُقْبَانيّ، أبُو عثمانَ التِّلِمْسَانيُّ التَّجِيبِيُّ، ولد بتلمسان سنة (720 ه)، أخذ عن السطي، وابني الإمام وبهما تفقه، والآبلي وجماعة، وعنه إبراهيم المصمودي، وابن مرزوق الحفيد، وغيرهم،

من تصانيفه (شرح الحوفية)، و(شرح جمل الخونجي)، قال عنه ابن مخلوف «العلامة النّظار المتحلي بالوقار، الفقيه المتفنن في علومٍ شتّى، الإمام الفاضل...»[38] ، توفي سنة (811 ه).[39]

(شرح مختصر ابن الحاجب الأصليّ)[40] .

مؤلفه هو محمَّدُ بن أحمد ابن الخطيب، أبُو عبد الله التِّلِمْسَانيُّ، المعروف بابن مَرْزُوقٍ الحَفِيدِ، مولده في ربيع الأول سنة (766 ه)، أخذ عن أئمة منهم سعيد العقباني، وابن عرفة، و البلقيني، و عنه جماعة منهم ابنه المعروف بالكفيف، والثعالبي... وغيرهم، له مصنفات كثيرة منها (رجزان في علم الحديث)، و(شرح على البخاريّ) لم يكمله، قال عنه التنبكتي «الفقيه المجتهد الأبرع، الأصوليّ، المفسّر، المحدث الحافظ المسند الراوية، الأستاذ...»[41] ، توفيّ في شعبان سنة (842 ه).[42]

(شرح مختصر ابن الحاجب).[43]

مؤلّفه هو أحمدُ بن عبد الرّحمن، أبُو العَبَّاسِ التِّلِمْسَانِيُّ؛ المعروف بِابْنِ زَاغُو، ولد في حدود سنة (782 ه)، أخذ عن سعيد العقباني، وأبي يحيى الشريف التلمساني، وجماعة، وعنه جماعة منهم أبو زكرياء يحيى المازوني، والحافظ التّنسي، من مصنفاته (مقدمة في التفسير)، و(تفسير الفاتحة)، قال عنه التنبكتيّ «الإمام، العالم، الفاضل،...العلامة، المحقق، المتفنن، القدوة»[44]، توفي في ربيع الأول سنة (845 ه).[45]

(شرح تنقيح الفصول).

مؤلّفه هو عليُّ بن ثابت، أبو الحَسنِ القُرَشِيُّ الأَمَوِيُّ التِلِمْسَانِيُّ، أخذ عن ابن مرزوق الجدّ، وعنه ابن مرزوق الحفيد... وغيره، ألف مؤلفات كثيرة، منها (ثلاثة شروح على البردة)، قال عنه ابن مخلوف «الفقيه، العالم، الزّاهد، الورع، الفاضل، العابد»[46]، توفي في ذي القعدة سنة (829ه).[47]

(غَاية المَرام في شرح ورقات الإمام).

مؤلّفه هو أحمدُ بن محمد بن زكري، أبُو العبّاسِ المَانَوِيُّ التِّلِمْسَانِيُّ؛ المعروف بابن زَكْرِيِّ التِلِمْسَانِيّ، أخذ عن ابن زاغو، و ابن مرزوق... وغيرهما، وأخذ عنه جماعة منهم أحمد زرُّوق، وحفيد الحفيد ابن مرزوق، من مصنّفاته (مسائل القضاء والفتيا)، و (بغية الطّالب في شرح عقيدة ابن الحاجب)، قال عنه ابن أبي مريم «الفقيه، الأصوليّ، البيانيّ، المنطقيّ»[48]، توفي في صفر سنة (899ه)، وقيل سنة (900ه).[49]

2-2- الكتب المعتمد في تدريس علم الأصول والتعريف بمدرسيها.

لقد اختار أصوليّو تلمسان كغيرهم من أهل الفنّ في مختلف الأقطار الإسلاميّة كتباً مدرسيةً قرّروا من خلالها مسائل علم الأصول لطلبته، فبيّنوا مَعانيها لمُعانيها، وحلّوا ألفاظها لحفّاظِها، والفاحص عن الكتب التي اعتمدوها في القرن الثَّامن والتاسع يجدها كما يأتي:

(المختصر الأصليّ) لابن الحاجب(ت:646ه) .

وقد درسه كل من :

أبو عبد الله الآبليّ(:757ه)[50] .

وهو محمّدُ بنُ إبراهيم، أبو عبد اللهِ الآبليُّ، شيخ العلوم العقلية والنقلية في عصره، أخذ عن أئمة منهم أبو موسى ابن الإمام، وابن البناء المراكشي، وأبو الحسن التنسي، وأخذ عن أجلة من علماء منهم الشريف التلمساني، وابن عرفة، وابن مرزوق الجد، قال عنه ابن مريم «الإمام العلّامة المجمع على إمامته، أعلم خلق الله في العلوم المعقوليّة»[51] ، توفي سنة (757ه)[52].

و أبو عبد الله الشَّريف التِّلمسانيّ(ت:771ه)[53] وقد تقدم التعريف به.

و ابن مرزوقٍ الحفيد (ت:842ه) [54] وقد تقدم التعريف به.

ومحمد ابن النَّجار التِّلمساني (ت:846ه) [55] .

وهو محمَّدُ بنُ أحمدَ النجَّارُ أبو عبدِ الله التِلمسَانِيُّ، الفقيه العلامة، الأصولي الفهامة، قرأ عليه الشيخ القلصادي، وعرف به في رحلته، كانت له مشاركة في مجموعة من العلوم النقلية والعقلية، ودرس جملة من أمهات الكتب منها (مختصر خليل)، و (إرشاد إمام الحرمين)، و(قواعد القرافي)... وغيرها، توفي سنة (846ه)[56].

و ابن مرزوقٍ الكفيف (ت:901ه) [57]

وهو محمّدُ بنُ محمد ابنُ مرزوقٍ، العَجيسِيُّ التِلمسانيُّ، المعروف بالكفيف: أخذ عن أبي الفضل بن الإمام، وقاسم العقباني، وعبد الرحمن الثعالبي... وغيرهم، وأجازه شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني، وعاد إلى تلمسان فأخذ عنه جماعة منهم: أبو العباس الونشريسي، وابن مرزوق الخطيب، توفي سنة(ت:901ه)، [58]

(تنقيح الفصول) للقرافي (ت:684ه) .

وقد درسه كل من:

أبو زيد ابن الإمام (ت:743ه).[59]

وهو عبدُ الرحمن بنُ محمَّدِبن عبد الله، أبو زَيدٍ ابنُ الإمام، الفقيه الإمام، اجتمع بكبار العلماء كالشيخ علاء الدين القونوي، وشيخ الإسلام ابن تيمية،... وغيرهما، وأخذ عنه أئمة منهم الشريف التلمساني، وأبو عثمان العقباني، وابن مرزوق الخطيب، وغيرهم، وقد كان يذهب مذهب الاجتهاد ولا يقلد، من مصنفاته (شرح مختصر ابن الحاجب الفرعي)، توفي سنة (741ه)[60].

و ابن مرزوقٍ الحفيد (ت:842ه)[61] ، وقد تقدم التعريف به.

ومحمد ابن النَّجار التِّلمسانّي(ت:846ه)[62]، وقد تقدم التعريف به.

ومحمد الشَّريف (ت:847ه)[63].

وهو محمد أبو عبد الله الشريف، إمام مسجد الخراطين ممن أخذ عنه القلصادي، وقد عرف به في رحلته من مصنفاته: (اختصار شرح التسهيل) لأبي حيان، توفي سنة (847ه)[64].

(منهاج)البيضاويّ(ت:685ه)

درَّسه محمد ابن النَّجار التِّلمسانّي (ت:846ه)[65]. وقد تقدم التعريف به.

(محصول) الرازي (ت:606ه).

درسه ابن مرزوقٍ الحفيد (ت:842ه)[66] . وقد تقدم التعريف به.

(مستصفى) الغزالي(ت:505ه).

درس بعضه محمد ابن النَّجار التِّلمسانّي(ت:846ه)[67]، وقد تقدم التعريف به.

(مفتاح الوصول) للشَّريف التِّلمسانيّ (ت:771ه)

درسه كل من:

ابن مرزوقٍ الحفيد (ت:842ه)[68] ، وقد تقدم التعريف به.

و محمد الشَّريف (ت:847ه).[69]، وقد تقدم التعريف به.

خاتمة:

في الختام أعود فأذكر بأن هذه الورقة البحثيّة قد جاءت لإماطة اللّثام عن الواقع التّاريخي للحركة الفكريّة الأصوليّة في حاضرة تلمسان في القرنين الثّامن والتّاسع الهجريين؛ وهذا من جهة مكانة علم الأصول في هذه الحاضرة، ومناهج علمائه في تدريسه، ومن جهة نوع المدوّنات الّتي وضعت في هذا الفنّ، والكتب المدرسيّة الّتي اعتمدت في تدريسه؛ وقد توصل إلى مجموعة من النّتائج والتّوصيات هي كما يأتي:

النتائج:

1/ إن علم أصول الفقه قد عرف مكانة رفيعة في حاضرة تلمسان في القرنين المبحوثين؛ يشهد على ذلك عناية الملوك والسلاطين بالعلم، والأسئلة الوافدة على علمائها في دقائق هذا الفنّ ...وغير ذلك.

2/إن علم أصول الفقه كان يدرس في هذه الحاضرة وفق مناهج معلومة وسبل محدّدة من جهة الوقت، وطريقة والبحث... وغير ذلك.

3/لقد جادت قرائح علماء تلمسان بعدّة مصنّفات أصوليّة في القرنين المبحوثين، منها: (مفتاح الوصول) للتّلمساني و (غاية المرام) لابن زكري.

4/لقد اعتمد علماء تلمسان مجموعة من الكتب المدرسية قرروا من خلالها مسائل العلم، وأشهرها (مختصر) ابن الحاجب، و(تنقيح الفصول) للقرافي.

التوصيات:

1/العناية بتحقيق الكتب المخطوطة في علم أصول الفقه الّتي كتبها علماء الأصول التلمسانيّون في هذه المدّة الزمنيّة.

2/الاهتمام بعقد ندوات فكريّة لتعميق البحث في هذا الموضوع لأهميّته وللمكانة التّاريخية لحاضرة تلمسان في الغرب الإسلامي.

3/الاستفادة من الكتابات المطبوعة على غرار (مفتاح الوصول للتلمساني) و(غاية المرام لابن زكري) في إثراء واقع الفكر الأصولي في عصرنا الحاضر.

الهوامش:

[1] /أليس الصبح بقريب لابن عاشور (88).

[2] /الآثار للبشير الإبراهيميّ (110/5).

[3] /البستان لابن مريم-ط: منشورات السهل- (190-191).

[4] /نيل الابتهاج للتنبكتي (351).

[5] /انظر: الإحاطة لابن الخطيب(135/2).

[6] /انظر: نيل الابتهاج للتنبكتي (94).

[7] /انظر: المعيار للونشريسيّ (11/364،362).

[8] /انظر: المصدر نفسه (12/42).

[9] / انظر: المصدر نفسه (12/8).

[10] /وقد أرخ للسؤال وجوابه بأنه كان سنة (884ه) انظر: المصدر نفسه (12/9).

[11] /انظر: المصدر نفسه (12/5-9).

[12] /البستان لابن مريم-ط: منشورات السهل- (236).

[13]/ التاريخ لابن خلدون (7/536).

[14] / شجرة النّور لابن مخلوف (1/334).

[15] / البستان لابن أبي مريم-ط: المطبعة الثعالبية- (203).

[16] /انظر: نيل الابتهاج للتنبكتي (227)

[17] / انظر: الرحلة للقلصادي (104) ونيل الابتهاج للتنبكتي(119-120)

[18] /البستان لابن مريم -ط: منشورات السهل- (216).

[19] /انظر: نيل الابتهاج للتنبكتي(227).

[20] /انظر: المصدر نفسه (227)

[21]/ انظر: برنامج المجاري (1/129).

[22]/ انظر: المصدر نفسه (1/135).

[23] / انظر: الرحلة للقلصادي (104) ونيل الابتهاج للتنبكتي(119-120)

[24] /البستان لابن مريم -ط: منشورات السهل- (167).

[25] /المصدر نفسه -ط: منشورات السهل- (93).

[26]/ انظر: المصدر نفسه-ط: منشورات السهل- (167).

[27] /انظر: المصدر نفسه-ط: منشورات السهل- (67).

[28] /المصدر نفسه-ط: منشورات السهل- (191)

[29] /انظر: نيل الابتهاج للتنبكتي (227).

[30] /انظر: المصدر نفسه (94).

[31] /انظر: المصدر نفسه (435).

[32] /انظر: البستان لابن مريم-ط: منشورات السهل- (131)

[33] /نيل الابتهاج للتنبكتي (228).

تصدر عن كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة محمد البشير الابراهيمي برج بوعريريج
الرقم الدولي المعياري ISSN:2602-702X الترقيم الدولي الالكتروني: 2773-2592
الايداع القانوني :ديسمبر 2017

[34] /انظر: المصدر نفسه (226-227).

[35] /التاريخ لابن خلدون (653/7).

[36] /انظر: التاريخ لابن خلدون(653/7) و نيل الابتهاج للتنبكتي (430) و شجرة النور لابن مخلوف (337/1) .

[37] /وقد أمّدني الأستاذ المشرف الدكتور محمد حاج عيسى بقطعةٍ من مخطوطته فجزاه الله خيراً.

[38] / شجرة النور لابن مخلوف (361/1).

[39] / انظر: برنامج المجاري لمحمد المجاري (129) و نيل الابتهاج للتنبكتي (189/1) و شجرة النور لابن مخلوف(361/1) والمصادر الأصولية لألحيان (234/6).

[40] /وقد شرح صدراً منه.

[41] /نيل الابتهاج للتنبكتي (499).

[42] /انظر: ثبت أبي جعفر الوادي آشي (294) ونيل الابتهاج للتنبكتي (499) والدليل التاريخي للعلمي (233) والمصادر الأصولية لألحيان (235/6) .

[43] /وقد شرح بعضه.

[44] /نيل الابتهاج للتنبكتي (118).

[45] / انظر: نيل الابتهاج للتنبكتي (118) و شجرة النور لابن مخلوف (366/1) والمصادر الأصولية لألحيان (235/6).

[46] / شجرة النور لابن مخلوف (363/1).

[47] /انظر: نيل الابتهاج للتنبكتي (335) وشجرة النور لابن مخلوف (363/1) والمصادر الأصولية لألحيان (235/6).

[48] /البستان لابن مريم--ط: المطبعة الثعالبية- (38).

[49] /انظر: درة الحجال لابن القاضي (90/1) وشجرة النور لابن مخلوف (386/1) والدليل التاريخي للعلمي (230) والمصادر الأصولية لألحيان (237/6).

[50] /انظر: برنامج المجاري لمحمد المجاري (145) .

[51] /البستان لابن مريم-ط: منشورات سهل- (236).

[52] /انظر: البستان لابن مريم -ط: منشورات سهل- (236) ومعجم أعلام الجزائر للنويهض (12).

[53] /انظر: نيل الابتهاج للتّنبكتي (253) والبستان لابن مريم-ط: المطبعة الثعالبية- (118) .

[54] /انظر: البستان لابن مريم-ط: المطبعة الثعالبية- (205-206).

[55] / انظر: البستان لابن مريم-ط: المطبعة الثعالبية- (222) ومعجم أعلام الجزائر للنّويهض (76).

[56] /انظر: شجرة النور لابن مخلوف (367/1) و معجم أعلام الجزائر للنّويهض (76).

[57] /انظر: البستان لابن مريم -ط: المطبعة الثعالبية- (251).

تصدر عن كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة محمد البشير الابراهيمي برج بوعريريج
الرقم الدولي المعياري ISSN:2602-702X الترقيم الدولي الالكتروني: 2773-2592
الايداع القانوني :ديسمبر 2017

[58] /انظر: البستان لابن مريم -ط: المطبعة الثعالبية- (251) و معجم أعلام الجزائر للنويهض (292)

[59] /انظر: البستان لابن أبي مريم-ط: المطبعة الثعالبية- (124).

[60] /انظر: نيل الابتهاج للتنبكتي (245) ومعجم أعلام الجزائر (22)

[61] /انظر: نيل الابتهاج للتّنبكتي (253) والبستان لابن مريم -ط: المطبعة الثعالبية- (206) .

[62] / انظر: البستان لابن مريم-ط: المطبعة الثعالبية- (222) ومعجم أعلام الجزائر للنّويهض (76).

[63] /انظر: الرحلة للقلصادي (100) ونيل الابتهاج للتّنبكتي (253) والبستان لابن مريم -ط: المطبعة الثعالبية- (222) .

[64] /انظر: نيل الابتهاج للتنبكتي (526) والبستان لابن مريم -ط: المطبعة الثعالبية- (222).

[65] / انظر: البستان لابن مريم-ط: المطبعة الثعالبية- (222) ومعجم أعلام الجزائر للنّويهض (76).

[66] /انظر: نيل الابتهاج للتّنبكتي (253) والبستان لابن مريم (205) .

[67] / انظر: البستان لابن مريم -ط: المطبعة الثعالبية- (222).

[68] /انظر: نيل الابتهاج للتّنبكتي (253) والبستان لابن مريم -ط: المطبعة الثعالبية- (206) .

[69] / انظر: الرحلة للقلصادي (100) ونيل الابتهاج للتنبكتي(526) والبستان لابن مريم -ط: المطبعة الثعالبية- (222).

المصادر والمراجع:

1. آثار محمّد البشير الإبراهيمي ،جمع أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط: الأولى، سنة(1997م).
2. الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين ابن الخطيب، دار الكتب العلمية بيروت ، ط: الأولى: 1424هـ.
3. أصول الفقه تاريخه ورجاله لشعبان محمد إسماعيل ،دار المريخ للنشر-الرياض، ط:الأولى، سنة(1401هـ/1981م).
4. الأعلام لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط: الخامسة عشر ،سنة (2002 م).

تصدر عن كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة محمد البشير الابراهيمي برج بوعريريج
الرقم الدولي المعياري ISSN:2602-702X الترقيم الدولي الالكتروني: 2592-2773
الايداع القانوني :ديسمبر 2017

5. أليس الصبح بقريب للطاهر ابن عاشور، دار سحنون –تونس- ودار السلام، ط: الأولى، (1427هـ/2007م).
6. البرنامج للمجاري ، ت:محمد أبو الاجفان، دار الغرب الاسلامي - بيروت لبنان-، ط:1(1982م/1400هـ)
7. البستان لابن مريم المديوني ، ت:محمد بن أبي شنب،المطبعة الثعالبية-الجزائر-، [د ط]،سنة(1326هـ/1908م).
8. البستان لابن مريم المديوني، منشورات سهل ، [دط]
9. تاريخ ابن خلدون، ت: خليل شحادة، دار الفكر- بيروت-، ط: الثانية، (1408 هـ/ 1988 م).
10. ثبت أبي جعفر الوادي آشي، دار الغرب الاسلامي – بيروت-، ط:1، سنة:(1403هـ).
11. درّة الحجال في أسماء الرّجال لابن القاضي، ت:الدكتور محمد الأحمدي، دار التراث- القاهرة- والمكتبة العتيقة –تونس-،ط: 1، سنة:(1391هـ/1971م).
12. الدليل التاريخي لمؤلفات المذهب المالكي لمحمد العلمي، مركز البحوث والدراسات في الفقه المالكي، الرابطة المحمدية للعلماء بالمغرب، ط:1، سنة:(1433هـ/2012م).
1. الرحلة للقلصادي، ت: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، (1978م).
13. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لابن مخلوف، ت: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية- لبنان-، ط: 1، سنة:(1424هـ/2003م) .
14. المصادر الأصولية عند المالكية-دراسة في النشأة والمدونات والخصائص- لمولاي الحسين الحيان، بحوث ملتقى القاضي عبد الوهاب البغدادي، دار البحوث والدراسات الإسلامية وإحياء التراث-دبي-، ط:1، سنة:(1425هـ/2004م).
15. معجم أعلام الجزائر للنويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، - بيروت –، ط:2، (1400هـ/1980م).

تصدر عن كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة محمد البشير الابراهيمي برج بوعريريج
الرقم الدولي المعياري ISSN:2602-702X الترقيم الدولي الالكتروني: 2592-2773
الايداع القانوني :ديسمبر 2017

16. نيل الابتهاج لأحمد بابا التنبكتي ، ت:عبد الحميد الهرامة، دار الكتاب طرابلس، ط:الثانية: (2000م).